سلسلة الرسائل الدعوية

رسالة إلى الأب

تأليف
سلمان بن فهد العودة
المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩


بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
رقم الإيداع : ١٨٩١٥/ ٢٠٠٢م .
الترقيم الدولي : ٤-٠٧٤ - ٣٣١ - ٩٧٧



دار الصديق
للنشر والتوزيع
صنعاء - الحصبة
ص . ب (٨٢٦٩) تلفاكس (٢٣٢٥٨٥)
بريد إلكتروني alsedeeq@y.net.ye.



١٧ ش خليل الخياط ـ مصطفى كامل ـ الإسكندرية
E mail : dar_aleman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله الذى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص : ٣-٤] ، تفرّد بالوحدانية ، وجعل من صفات خلقه الزوجية ، فقال عز وجل : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

أحمده وأشكره ، وأصلى على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد :

فهذه الرسالة لها من اسمها نصيب ، فهى رسالة وليست كتاباً ولا بحثاً ، ولا تصنيفاً جامعاً .

ولكنها رسالة نبّهتُ فيها على بعض القضايا المعاشة فى هذا الوقت ، تلمّستها من المشاكل التى نعالجها ، والأسئلة التى نُسألها ، والقضايا التى نخبرها .

فجمعت بعضها فى هذه الرسالة ، تنبيهات عجلى ؛ ليتبعها بعد ذلك ما يتممها من جوانب أخرى .

وعندما أطرحها اليوم بين يدى القارئ ، فليعلم : أن موضوع الأبوة وحقوقها وما يستلزمها ويستتبعها مما لا يحيط به كتاب فضلاً عن رسالة صغيرة ؛ لتشعُّبه واتساعه وكثرة متعلقاته.

ولكن !مثل هذه الرسائل الموجزة ، تحمل إشارات موجزة، تفيد من لم يطّلع على مادة أوسع ، وتدفع إلى مواصلة الإطلاع ومتابعة الاهتمام ، فالقضية فى غاية الأهمية ، وحقيقٌ (١) بالأب معرفة واجباته ، وكيفية أدائها ، وتوقى الأخطاء وجوانب القصور فى أداء دوره .

وفى هذه الرسالة ما نرجو أن يعين على ذلك ، ويبصر بشيء منه. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

سلمان بن فهد العودة
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

---

(١) حقيق : أى جدير وحرىّ .

تمهيد :

* الولد نعمة :

فإن من أعظم نعم الله على عباده نعمةَ الولد ، فقال عزَّ وجل : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المدثر : ١١-١٥] .

فوجود الأولاد بحضرة أبيهم يغدون معه ويروحون ، هو زينة في المجالس ، وبهجة في الحياة الدنيا، وعون على لأواء (١) الحياة ؛ ولذا امتنّ الله بهذه النعمة في غير ما موضع من كتابه ، قال عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل : ٧٢] .

ولو تصوّر أحد منا أنه يواجه الحياة وحيداً فريداً ، بلا ولد ،

---

(١) اللأواء : الشدة والمشقة ، كذا في لسان العرب .

ولا عون ، ولا مساعدة ؛ لشعر بأن الحياة مظلمة جداً .

يعرف ذلك ويدركه حق المعرفة ، أولئك الذين امتحنهم الله تعالى بالعقم ، فلا يولد لهم ، فيدخل الواحد منهم بيته ، وهو يشعر كأنه يدخل قبراً ، ليس فيه صياح الأطفال ، ولا صراخهم ، ولا تضاغيهم ، بل ولا عبثهم الذى يتمناه ، ويتصوره ، ويتخيله ، ويعرف ذلك ويتذوقه من رزق رهافة الحس ، وسلامة الفطرة ، وقد صور هذا المعنى الشاعر عمر الأميرى -رحمة الله - فى قصيدة « أب » حيث قال :

ذَهَبُوا ، أَجَلْ ذَهبوا ، وَمَسْكَنُهُمْ ... فى الْقَلْب،مَا شَطُّو وَمَا قَرُبُوا

إنِّي أراهُمْ أينمَا الْتَفَتَتْ ... نَفْسى ، وَقَدْ سَكَنُوا ، وقَدْ وثَبُوا

وأُحسُّ في خَلَدي تَلاعُبَهُمْ ... في الدَّارِ ، لَيْسَ يَنالُهُم نَصَبُ

وبَريقَ أَعْيُنهِمْ ، إذا ظَفِروا ... ودُمُوعَ حُرقَتهِمْ ، إذا غُلِبُوا

فى كُلِّ رُكْنٍ مِنْهُمُ أَثَرٌ ... وَبِكُلِّ زَاوِيَةٍ لَهُم صَخَبُ

فى النَّافذات ، زُجَاجَها حطَمُوا ... فى الحَائِط الْمدْهُون ، قَدْ ثَقَبُوا

فى الْبَابِ قَدْ كَسَرُوا مَزَالِجَهُ ، ... وَعَلَيْهِ قَدْ رَسَمُوا وَقَدْ كَتَبُوا

فى الصَّحْنِ ، فيه بَعْضُ ما أكَلُوا فى عُلْبَة الحَلْوى الَّتي نَهَبُوا
فى الشَّطْرِ مِنْ تُفَّاحَة قَضَمُوا فى فَضْلَة الْمَاء الَّتى سَكَبُوا
إنِّى أراهُمْ حَيْثَمَا اتَّجَهَتْ عينى ، كأَسْراب الْقَطَا ، سربوا
دَمْعِي الَّذى كَتَّمْتُهُ جَلَداً لَمَّا تَبَاكَوا عِنْدَمَا رَكِبُوا
حَتَّى إذا سَارُوا وقَدْ نَزَعُوا مِنْ أَضْلُعى قَلْباً بِهِمْ يَجِبُ
أَلْفَيْتُني كَالطِّفلِ عَاطِفَةً فَإذا به كَالْغَيْث يَنسكِبُ
قَدْ يَعْجَبُ الْعُذَّالُ مِنْ رَجُلٍ يَبْكِي ، ولَوْ لَمْ أَبْكِ فَالْعَجَبُ
هَيْهَاتَ مَا كُلُّ الْبُكا خَوَرٌ إنِّى وَبي عَزْمُ الرِّجَالِ أبُ

ويعرف ذلك ويحسُّه مَنْ فُجِعَ فى ذريته بعد سرور بهم وغبطة ، فأحسَّ لوعة الفقد وحرارة الحرمان ، وممن عبّر فى ذلك الأستاذ : أحمد حسن الزيات حينما توفى ابنه رجاء ، فكتب يقول : « لما جاء –رجاء– وجدتُنى أُولد فيه من جديد ؛ فأنا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال ، وأبسم إلى الوجود بثغر الأطفال ، وأضطرب فى الحياة اضطراب الحى الكامل يدفعه من ورائه طمع ، ويجذبه من أمامه طموح ! شعرت بالدم الحار

يتدفق نشيطاً في جسمي ، وبالأمل القوى ينبعث جديداً فى نفسى ، وبالمرح الفتىّ يضج لاهياً فى حياتى ، وبالعيش الكئيب تتراقص فى حواشيه الخضر عرائس المنى ! فأنا ألعب مع رجاء بلُعبه ، وأتحدث إلى رجاء بلغته ، وأتبع عقلى هوى رجاء فأدخل معه ذهول البراءة فى كل ملهى ، وأطير به طيران الفراشة فى كل روض ، تم لم يعد العمل الذى أعمله جديراً بعزمى ، ولا الجهد الذى أبذله كفاءً لغايتى ، فضاعفت السعى ، وتجاهلت النصب ، وتناسيت المرض ، وطلبت النجاح فى كل وجه ؛ ذلك لأن الصبى الذكى الجميل أطال حياتى بحياته ، ووسّع وجودى بوجوده ، فكان عمرى يغوص فى طوايا العدم قليلاً قليلاً يمدّ عمره بالبقاء ، كما يغوص أصل الشجرة فى الأرض ليمد فروعها بالغذاء .

شغل رجاء فراغى كله ، وملأ وجودى كله ، حتى أصبح شغلى ووجودى ! فهو صغيراً أنا ، وأنا كبيراً هو ؛ يأكل فأشبع ، ويشرب فأرتوى ، وينام فأستريح ، ويحلم فتسبح روحى وروحه فى إشراق سماوى من الغبطة لا يوصف ولا يُحد !! .

ما هذا الضياء الذى يشع فى نظراتى ؟ ما هذا الرجاء الذى يشيع فى بسماتى ؟ ما هذا الرضا الذى يغمر نفسى ؟ ماهذا النعيم الذى يملأ شعورى ؟ ذلك كلُّه انعكاس حياة على حياة ، وتدفق روح فى روح ، وتأثير ولد فى والد ! .

وفى مراثى الشعراء لأبنائهم ما يبرز كثيراً من معانى الأبوة التى قد لا يحس بها الإنسان فى زحمة معاناته اليومية .

إن الذرية هبة من الله ؛ لذا قال عز وجل : ﴿ **يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)** ﴾ [الشورى : ٤٩ - ٥٠] .

وهذه النعمة العظيمة ما زال يُفرح بها ويُسر ، منذ أول الدهر ؛ بل ما زال الإنسان يجد فى هؤلاء الأولاد الروائح الزكية ، والأنفاس الطيبة والفرحة التى يفرح بالدنيا من أجلها .

يقوم أحدهم :

لولا بنيات كزُغب القطا ... رُدِّدن من بعضٍ إلى بعضِ
لكان لى مضطربٌ واسعٌ ... فى الأرضِ ذاتِ الطولِ والعرضِ
وإنما أولادنا بيننا ... أكبادُنا تمشي على الأرضِ
لو هبتِ الريحُ على بعضهم ... لامتنعتْ عينى عنِ الغمض

فهؤلاء الأولاد هم كالأكباد التى تمشى على الأرض .

* والبنت نعمة :

ربما رأيت بعض الناس يتضايقون من إنجاب البنات ، ويتبرمون منه ، وينسون أن البركة ربما تأتى مع البنت ، والعون الربانى ربما يصاحبها ، وأن الله تعالى قد يرزق الإنسان بسببها.

قال ﷺ : « **هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم** »(١) ، وفي حديث آخر قال ﷺ : « **ابغونى ضعفاءكم ، إنما تُرزقون وتُنصرون بضعفائكم** »(٢) ، والمرأة والبنت من الضعفاء ،

(١) أخرجه البخارى (٢٦٨١) من حديث سعد رضي الله عنه .
(٢)أخرجه الترمذى (١٦٢٤) ، وأحمد (٢٠٧٣٨) عن أبى الدرداء رضي الله عنه ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

فالمؤمن الحق يفرح بميلادها ، ويحمد الله والبنت من الضعفاء ، فالمؤمن الحق يفرح بميلادها ، ويحمد الله ويشكره ، ولو لم يكن من ذلك إلا مخالفة لعادات الجاهلية الأولى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ﴾ [النحل : ٥٨-٥٩] ، فلو لم يكن من الفرح بالبنت إلا مخالفة عادات الجاهلية الأولى ، وإعلان الرضا بما كتبه الله تعالى وقدره وقضاه ؛ لكان ذلك خيراً .

ويكفيك أن تعلم كيف كان النبى ﷺ يعامل ابنته فاطمة رضي الله عنها ، وكيف فرح بها ، وكيف فرح ببناته الأخريات ، وكيف كان ﷺ يُظهر لهنّ من الودّ ، والحب ، والعطف ما لا يخطر على بال .

عبرة من الواقع :

فثمة رجل كان لا يولد له إلا البنات ، فضاق بذلك ذرعاً فلما حملت زوجته هدّدها إن هى أنجبت هذه المرة أنثى أنه

سيطلقها ، أو يتزوج غيرها ، وذهبت زوجته إلى المستشفى ، وهي في كرب شديد ، ولاحظ الأطباء على وجهها علامات الإعياء والإرهاق ، وعلى قسماتها آثار حزن عميق طويل ، فسألوها : ما الخطب ؟ فتمنّعت ، ثم ألحوّا عليها فأخبَرتهم ، فقال أحد الأطباء : أنا له ، وانتظرِ الزوجَ طويلاً حتى قدم ، فقال له : أبشرْ بولد ، فتهلّل وجهُ الزوج وفرح وأشرق ، ثم أضاف : ولكنه مصاب بعتْهٍ وتخلُّفٍ عقلي ، بسبب نقص في الدماغ ، ومصاب بنوع من التشوُّه الجسماني ، ثم طفق يصبرُه ويرضيه بقضاء الله تعالى وقدره .

فانهملت من عيني الأب دمعتان ، وقال : ما هذا إلا بسبب عدم رضاي بقضاء الله تعالى وقدره ، حينما سخطتُ البنات ، والله لو لم يكن نسلي إلا بنات لا يرى الله تعالى منّي بإذنه إلا الرضا بما قسم .

فقال له الطبيب : إذن هوِّن عليك ، فإنما رزقك الله تعالى ببنت كاملة سوية ليس فيها ما يُنقَص أو يُعاب .

فاستغفر الله تعالى ، وعرف عظيم نعمة الله تعالى عليه ، حين رزقه ولداً [١] سوياً سليماً معافى من الآفات والأمراض ، والنقائص العقلية أو الجسمية ، وإنما تعرف النعمة بفقدها .

إذن الأولاد – ذكوراً أو إناثاً – نعمة عظيمة ، ينبغي أن نرعاها ونتعاهدها ، ونشكرها حق شكرها ، وذلك بمعرفتنا لحقوق أولادنا التي كفلها لهم الشارع الحكيم ، وعلمنا بالوسائل الصحيحة والناجحة في تربية أولادنا .

---

(١) الولد يطلق على الذكر والأنثى .

الفصل الأول
حقوق الأولاد في الإسلام

شكر نعمة الولد :

أيها الأب ! هل تدرى أى نعمة أنت فيها ؟ وهل تدرى أى شكر أنت مطالب به ؟ فإياك أن تكون ممن يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، إن واجبك هو الشكر ، والشكر ليس كلاماً فقط ، بل هو عمل ، قال البارى جل وعلا : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] ،﴿ اعْمَلُوا ﴾ ! إذن الشكر عمل ، وتطبيق وامتثال ، وتنفيذ أوامر المنعم فيما أنعم به عليك .

فشكر المال مثلاً ، أن تكسبه من حله ، وتنفقه فى حله ، وتؤدى حق الله تعالى فيه ، وشكر الولد يكون كذلك بأشياء عملية ، ومن ذلك : القيام بحقه فى شريعة الله تعالى ، ولذلك كان على كل أب أن يعرف هذا الحق .

وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نلقى الضوء على بعض حقوق الأولاد فى الإسلام .

حقوق الأولاد فى الإسلام :

أولاً : الحقوق المادية :

الكثيرون منا يعلمون أن من حق الولد أن تطعمه إذا طعمت ، وتكسوه إذا اكتسيت ، وتؤويه من أذى الحر والقر ، وهذا صحيح ، ولكن هذا الطعام الذى تقدمه له ، وهذا اللباس الذى تمنحه إياه ، وهذا البيت الذى تؤويه فيه ؛ يجب أن تتذكر أنك مسؤول بين يدى الله عز وجل يوم القيامة ، من أين أطعمته ؟ ومن أين ألبسته ؟ وفيم أسكنته ؟ .

إنه لغبن شديد وخسارة عليك أية خسارة ، أن تتعب فى جمع المال فى هذه الدنيا ، ثم تضعه لقمة فى فم ولدك ، أو تضعه ثوباً على جسده ، أو تبنى به بيتاً يؤيه ، ثم يكون ذلك عاراً عليك فى الدنيا ، وناراً عليك فى دار القرار ؛ لأنك كسبت هذا المال من حرام فكسبت المال من الربا ، أو من بيع الحرام ، أو ما أشبه ذلك من المكاسب المحرمة التى يعلم صاحبها

قبل غيره أنها حرام .

فإن من حكمة الله تعالى : أنه جعل فى قلب الإنسان فرقاناً ، يبين له الحرام فى هذا الأمر ، « **البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك** » (١) .

فعليك أن تقي نفسك وولدك المكسب الحرام ، وأن تتذكر أن النبى ﷺ قال : « **إنه لا يربو لحم نبت من سحت ، إلا كانت النار أولى به** » (٢) .

إذاً ؛ فعليك مراقبة مكسبك الذى تطعم منه ولدك ، وتنقيته أن يكون فيه سحت أو حرام .

هذا أبو بكر رضي الله عنه كان له غلام يخرج له الخراج (٣) ،

---

(١) أخرجه الدارمى (٢٤٢١) ، وأحمد بنحوه (١٧٣١٣) ، (١٧٣١٥) ، (١٧٣٢٠) ، من حديث وابصة بن معبد الأسدى رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذى (٥٥٨) ، وأحمد بنحوه (١٣٩١٩) ، (١٤٧٤٦) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه .

(٣) يخرج له الخراج : أى يأتيه بما يكسبه ، والخراج ما يقرره السيد على عبده من مال يحضره له من كسبه .

وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : « أتدرى ما هذا ؟ فقال أبو بكر : وما هو ؟ ، قال : كنت تكهنت [١] لإنسان في الجاهلية وما أُحسنُ الكهانة [٢] ، إلا أني خدعته فأعطاني بذلك [٣] ، فهذا الذى أكلت منه » فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيءٍ في بطنه .

وفى رواية أنه - أى الغلام - كان يجيء بكسبه فلا يأكل منه حتى يسأله ، فأتاه ليلة بكسبه فأكل منه ولم يسأله ، ثم سأله [٤] .

---

(١) تكهنت : أى : حدثته عن الغيب .

(٢) الكاهن : هو من يدعى معرفة الأسرار وما يقع فى مستقبل الزمان ، والعرب تسمى كل من يتعاطى علماً دقيقاً « كاهناً » ، وربما سموا المنجم والطبيب كاهنين لذلك . انظر « لسان العرب » (كهن) .

(٣) فأعطانى بذلك : أى : عوض تكهنى له .

(٤) أخرجه البخارى (٣٨٤٢) من حديث عائشة رضى الله عنها وعند عبد الرزاق بنحوه ، بسند صحيح ، وفى « الورع » للإمام أحمد بسندٍ رجاله ثقات ، لكنه مرسل . وانظر : الفتح (١٥٤/٧) .

وفى رواية عن زيد بن أرقم قال : « كنت عند أبى بكر ، فأتاه غلام بطعام فأهوى إلى لقمة فأكلها ثم سأله : من أين اكتسبه ؟ قال : كنت قسّاً للقوم فى الجاهلية ، فأوعدونى فأطعمونى هذا – يعنى : اليوم – فقال : لا أراك إلا أطعمتنى ماحرّم الله ورسوله ، ثم أدخل إصبعيه فتقيأ ، ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أيما لحم نبت من حرام فالنار أولى به** » (١) .

إنه لغبن عظيم ، أن تبذل جهدك ، وعقلك وتفكيرك من أجل الحصول على هذا المال ، ولكنه مال حرام ، فتطعمه زوجتك وأولادك ، فيكون لهم طيبه ، وعليك أنت إثمه وجرمه.

هذا فضلاً عن أن أجسادهم تلك التى نبتت من حرام ، لا يبارك لك فيها ، فلا نظنك تجد برهم ، ولا تفرح ببركتهم ، ولا تجد شيئاً من نفعهم فى هذه الدنيا ، وأنت قد أطعمتهم من ذلك المال الحرام .

(١) أخرجه البيهقى فى كتاب « شعب الإيمان (٥٧٦٠) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .

فأول الحقوق : ما يمكن أن نعبر عنه بالحقوق المادية ، من مطعم وملبس ، ومشرب ، ومسكن وغير ذلك ، ولكن ينبغى أن تعلم أن هذه الحقوق ، لا يمكن أن تأتى بها إلا من طريق حلال يرضى الله عز وجل .

*** ثانياً : حق التربية الدينية :**

فهو حق التربية الدينية والقيام عليهم فى أمر دينهم ، يجهله الكثيرون فيهملون أمر الأولاد ، ولا يتابع الأب أبناءه ، بل هو مشغول بصفقاته التجارية ، أو بالوظيفة ، أو المزرعة ، ثم إذا كبر الولد ، ورأى منه إعراضاً وإهمالاً وسوءاً فى الألفاظ والعبارات ، وقسوة على والده وعدم انصياع لأوامره ؛ بدأ يتأفف ويقلب رأسه يمنة ويسرة ، ويقول الله المستعان على أبناء هذا الزمان ! .

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا   وما لزمانِنا عيبٌ سوانا
وقدْ نهجُو الزمانَ بغيرِ جُرمٍ   ولو نطق الزمانُ بنا هجَانا

هل وجدت مزارعاً يترك مزرعته دون سقى أو متابعة ، ثم

ينتظر أن تثمر ؟! ، إن أولادك هم بذرة ولكنها أعظم بذرة فى الدنيا ، فلابد أن تتعهدهم منذ البداية ، وذلك من عدة جوانب منها :

[١] اختيار الزوجة :

فإنها الأم ، وهى المحضن الأول الذى يتربى فيه الأطفال :

وأنت واجد من الشباب المقبلين على الزواج ، من يسأل عن جمال الفتاة ، وقد يسأل عن نسبها ، وعن دراستها ، ووظيفتها ، وقد يدقق فيسأل عن طول الشعر ، وتفاصيل الوجه ، وكل شيء ، ولا نلومه لكننا نقول له : لماذا لم تسأل عن أخلاقها ودينها ، وحال بيتها وبيئتها ؟! حتى تطمئن إلى أن أولادك سوف يتربون بإذن الله تعالى فى تربة صالحة وبيئة طيبة ؟! .

إننا نعلم أن الكثيرين ماتوا وطفلهم الأول ما يزال فى بطن أمه ، فهب أنك كنت ذلك الإنسان ! فمع من سيكون ابنك؟ وفى أى بيئة سيتربّى ؟ .

إن الطفل يحتاج إلى أمه كثيراً ، خاصة فى السنين الأولى من تربيته ، فإذا كانت الأم فاسدة ، أو جاهلة ، أو قاسية سيئة الخلق فكيف يتربى أولادك فى مثل هذا الجو العاصف غير المستقر ؟! ، فلابد أن تبدأ تربية الطفل باختيار الزوجة ، ولا نلومك فى حسن الاختيار فى الأمور الجسمية ، ولكننا نطالبك أيضاً أن تبحث عن ذات الدين والخُلق – تربت يداك (١) .

[٢] التحصين عند أطوار الخلق الأولى :

وذلك بذكر الله عز وجل عند اللقاء بين الزوجين ، فيحصن المولود عند الأطوار الأولى من الخلق ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال: بسم الله ، اللهم جنِّبْنا الشيطان ، وجنِّب الشيطان مارزقتنا ، فإنه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره شيطان أبداً** » (٢) .

---

(١) أخرج البخارى (٤٧٠٠) ومسلم (٢٦٦١) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

(٢) أخرجه البخارى (١٤١) ، ومسلم (١٤٣٤) .

[٣] اختيار الاسم :

ثم من حُسن التربية ، أن تختار الاسم المناسب للولد ، فلا تعطيه أيّ اسم ، ربما يعيبه ويزعجه إذا كبر ، كمن يلتزم باسم أبيه أو جده مع عدم مناسبته لهذا الزمان ، وقد غَيَّر النبى ﷺ الأسماءَ القبيحة والمستنكرة إلى أسماء جميلة حسنة المعنى .

وتجاوزُ هذا الأدب بفرض أسماء غير مناسبة على الذرية يُحدث ضرراً هو أشبه بالعاهة المستديمة ، وهناك من البنات والأبناء من كان اسمه سبباً فى أمراض نفسية لحقت به ؛ لأن الاسم كلما ذكر التفت إليه الناس ، منهم من يبتسم ، ومنهم من يضحك ، ومنهم من يدارى فمه فى نفسه عجباً واستغراباً (١) .

* التربية لا تنتهى إلا بالموت :

فمن هنا تبدأ التربية ، تبدأ باختيار الزوجة ، وذكر الله تعالى على كل حال ، حتى عند مضاجعة الزوجة ، واختيار

---

(١) انظر تحفة المودود لابن القيم ، وتسمية المولود للشيخ بكر أبو زيد .

الاسم المناسب للولد ، ثم لا تنتهى بعد ذلك إلا بالموت ، فليس ثمة حد محدود ينتهى عنده أمر التربية .

فهذا رسول الله ﷺ يتابع بالتربية ابنته فاطمة وهى فى بيت الزوجية ، بل وهى وزوجها فى فراشهما ، ففى المتفق عليه من حديث عليّ رضي الله عنه قال : اشتكت فاطمة ما تلقى من الرحى فى يدها ، وأتى النبى ﷺ سبىٌ ، فانطلقت فلم تجده ، ولقيت عائشة فأخبرتها ، فلما جاء النبى ﷺ أخبرته عائشة بمجئ فاطمة إليها ، فجاء النبى ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا ، فذهبنا نقوم ، فقال النبى ﷺ : « **على مكانكما** » فقعد بيننا حتى وجدتُ برد قدمه على صدرى ، ثم قال : « **ألا أعلمكما خيراً مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضاجعكما ، فكبرا الله أربعاً وثلاثين ، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين ، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين ، فهو خيرٌ لكما من خادم** » (١) .

---

(١) أخرجه البخارى (٣١١٣) ، ومسلم (٢٧٢٧) .

الفصل الثاني
وسائل التربية

أولاً : الحنان والعطف :

إن من أهم وسائل التربية زرع الحنان فى المنزل ، فلا يجوز أن يكون الأب فى بيته « امبراطوراً » مقطب الحواجب ، مكفهر الوجه ، لا يحسن إلا الصراخ ، والشتم والسب ، وتوزيع الأوامر يمنة ويسرة ! .

إن هذا الأسلوب لا يمكن أن يخرج أولاداً صالحين ؛ بل لا يخرج إلا أبناء محطمين ، أو أشراراً متمردين ، وليست قدوتك أيها الأب ! هؤلاء الناس الذين قد نتناقل أخبارهم -أحياناً - أنهم على مستوىً من الهيبة ، وقوة الشخصية ، بحيث يُخاف منهم ، ولا يُؤمَن جانبهم ، بل قدوتك أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وحسبك ويكفيك هؤلاء قدوة .

محمد ﷺ النموذج الأكمل فى الحنان والعطف :

فهذا نبينا محمد ﷺ يضع الصبى فى حجره ، ويضمه ويشمه ويقبله حتى لو لم يكن من ولده ، وربما بال الصبى فى حجر النبى ﷺ فدعا بماء ، فرشّه إن كان ابناً ، وغسله إن كانت بنتاً ، والأمثلة التالية من سيرته ﷺ توضح ذلك :

المثال الأول : قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « خرج النبى ﷺ فى طائفة النهار لا يكلمنى ولا أكلمه ، حتى أتى سوق بنى قينقاع ، فجلس بفناء بيت فاطمة ، فقال : « **أثَمَّ لُكَعْ ؟ أثَمَّ لُكَعْ** ؟ (يقصد الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فحبسته شيئاً ، فظننت أنها تلبسه سِخاباً ، أو تُغسِّله ، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله » (١) .

المثال الثانى : قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال : تقبلون الصبيان ؟! فما نقبلهم ، فقال النبى

---

(١) أخرجه البخارى (١٩٧٩) ، ومسلم (٤٤٤٦) بنحوه ، من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، ولكع : أى الصغير ، والسِخاب : خيط من الخرز يوضع فى العنق كالقلائد .

ﷺ : « **أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟** »[(١)] .

المثال الثالث : قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « « قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالساً ، فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ، ما قبلت أحداً ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ثم قال : « **من لا يَرحم لا يُرحم** »[(٢)] .

إن أولئك الذين يدمرون المجتمعات ، ويخربونها ، ولا يحترمون التقاليد ، ولا العادات ، ولا الأخلاق ، ولا الأديان ، هم فى الغالب أولئك الذين نشأوا فى بيئات فقدوا فيها الحنان ، وهذا الابن ، أو البنت التى فقدت الحنان ، سرعان ما يجدان قرناء السوء الذين يشعرونهما بالحنان .

مثال من الواقع :

هذه بنت تقسو عليها أمها ، وتغلظ لها القول ، وتشتمها

---

(١) أخرجه البخارى (٥٥٣٩) ، ومسلم (٤٢٨١) بنحوه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) أخرجه البخارى (٥٥٣٨) ومسلم (٤٢٨٢) ، من حديث أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

صباحَ مساءَ وتُعيِّرُها ، حتى شعرت البنت بأن الأرض قد ضاقت عليها بما رحبت، وفى أحد الأيام تسمع رنين الهاتف، فترفعه من باب الفضول ؛ ولأنها لم تترب تربية سليمة ، فتعودت أن ترد على الهاتف دائماً وأبداً ، فتجد صوتاً هادئاً رخيماً عذباً ، يحدثها ويسألها عن أحوالها ، ويطمئن عليها ، ويخبرها بأنه يحبها ، وأنه يموت إن لم يلقها ، أو يرها .

فصدقت هذه المسكينة ، وظنت أنها وجدت الحنان الذى فقدته فى بيتها ، وصور لها هذا الذئب نفسه بأنه حمل وديع ، وأنه لا يستطيع العيش بدونها ، فإذا قضى منها ما يريد ألقى بها ، وذهب يبحث عن غيرها ، وجلست هذه المسكينة تعانى آلامها ومشاكلها .

وما علم المجتمع أنها - وإن كانت مسؤولة عن جريمتها - إلا أن أمها وأباها مسؤولان قبلها ؛ لأنهما لم يراقباها مراقبة صحيحة ؛ ولأنهما لم يمنحاها الحنان الكافى الذى يشبعها ويكفيها ، فصارت تشعر أنها بحاجة إلى من يعبر لها عن محبته لها ، ويسألها عن أحوالها ، وتفضى له بهمومها ، وتتكلم معه

عن مشاكلها وآلامها وأحزانها .

ثانياً : الاستقرار الأسرى :

لابد من التفاهم بين الوالدين، فكيف سيكون حال البيت وحال الأولاد والبنات ، الذين ينامون ويصحون على مشاكل الخصومة بين الأم والأب ؟! .

فالأب يتكلم على الأم ، والأم تتكلم عليه أمام الأطفال ، ثم إذا خلت الأم بالأولاد قالت لهم : أبوكم فيه كذا وكذا ، وإذا خلا الوالد بأولاده قال : أمكم فيها كذا وكذا وكذا ، وعسى الله تعالى أن يعين عليها ! .

إن الأطفال لن يشعروا بالاستقرار والطمأنينة والأمان في هذا الجو القلق المتوتر ، وبذلك يصبحون عرضة للفساد والانحراف .

إن معظم الأولاد والبنات الشاذين والمنحرفين ، الذين يُقبض عليهم عن طريق أجهزة الأمن ، يكونون من بيوت لا تعرف الاستقرار العائلى .

ثالثاً : القدوة الحسنة :

ومن وسائل التربية القدوة الحسنة :

مشى الطاووس يوماً باختيالٍ   فقلَّد شكلَ مشيته بنوهُ
فقالَ : علامَ تختالونَ ؟ قالوا :   سبقتَ به ونحنُ مقلدوهُ
وينشأ ناشئ الفتيان منَّا   على ما كانَ عَوَّدَهُ أبوهُ

فالكلمات التي يرددها الأب سواء كانت طيبة ، أو خبيثة ، سوف يرددها الطفل من يوم بدأ يحسن النطق والكلام ، وقد يفرح الأب بذلك ! فربما سمعت الابن الصغير ينطق كلمة فاحشة بذيئة ، أو شتيمة ، فيضحك الأب ، وتضحك الأم ، لماذا ؟ لأنه بدأ يتكلم ! وينسون أن هذا الضحك يعني عند هذا الطفل : أن هذه الكلمة كلمة حلوة جميلة ، وأنه ينبغي أن يرددها .

وهذه الكلمة لم تخلق مع الطفل ، ولم تولد معه ، وإنما ترامت إلى أذنه من فم الأب ، أو من فم الأم ، أو بعض أهل المنزل ، وهكذا الأفعال ، فلا بد من القدوة الحسنة ؛ ليتربى

الطفل عليها قبل أن تكون التربية كلاماً يقال باللسان .

رابعاً : البيئة الصالحة :

ومن وسائل التربية اختيار البيئة الصالحة ، وإصلاح البيئة التى يكون فيها الأولاد – كما ذكرنا من قبل – باختيار الزوجة وبحسن التربية ، وبالعناية بحسن العلاقة الزوجية ، وجعل أى مشكلة بين الزوجين تُناقَش فى جو خاص ، بعيداً عن علم الأطفال ؛ ليكون الجو العام سليماً بعيداً عن المنغصات والكدر الذى يشوش ذهن الطفل ، ويشتت نفسه ، ويدفعه للبحث عن بيئة أخرى يجد فيها ملاذاً يهرب إليه .

• الأصدقاء :

من البيئة التى ينبغى أن يختارها الأب الأصدقاء ، فمن أصدقاء ابنك ؟ ومن صديقات ابنتك ؟ .

إن أول خطوة فى هذا المجال : أن تكون أنت صديقاً لابنك وابنتك ، تملأ فراغ نفسه وتشعره بالقرب منه ، ثم تضع له بالتوجه الحسن المعايير الضابطة فيمن يصادق ، وتحرص على ربطه بالناجحين الصالحين ، ذوى الأخلاق الحسنة والسلوك

الرشيد ، ثم تفتح عينيك كلتيهما على علاقاته ، فإذا رأيت رفقة سيئة أو سلوكاً غير سويّ حذرته بالإقناع والمحاورة وبيان العواقب ، وبدون هذه العناية فإن الفتاة قد تمضى مع فتيات عابثات ، والفتى قد ينجر مع رفقة السوء .

وإن أول خطوة يمكن أن تفعلها أن تمنعه ، لكن ! ما الذى يمكنك عمله إذا صار ولدك فى نهاية الطريق ؟ .

المدرسة :

وكذلك الحال بالنسبة للمدرسة فهل تدرى ما مستوى هذه المدرسة من حيت العلم ، ومن حيث الأخلاق ، ومن حيث التربية ، ومن حيث المراقبة ؟! .

لابد أن تختار المدرسة، ولو استدعى الأمر أن تذهب بولدك بالسيارة إلى مدرسة بعيدة لكونها أفضل وأحسن .

خامساً : تصحيح الأخطاء :

ومن وسائل التربية تصحيح الأخطاء ، حينما يقع فيها الولد ، أو تقع فيها البنت .

كيف نصحح الأخطاء ؟

تصحيح الأخطاء يكون بأمور كثيرة ، منها ما يلى :

أولاً : بالكلمة الطيبة والتوجيه السليم ، فإذا أفاد وإلا تشتد عليه بالكلام .

ثانياً : بالحرمان ، فتقول : يا ولدى ! أنت أخطأت اليوم ؛ ولهذا فلن أعطيك كذا ، ولن أمنحك كذا .

ثالثاً : بالترغيب والترهيب ، فتقول لولدك مثلاً : إن تركت كذا فلك عندى كذا .

المبالغة فى العقاب :

ويجب أن ينتبه الأب إلى أنه فى الوقت الذى يصحح فيه الأخطاء ويعاقب عليها أحياناً ، فإنه لا ينبغى أن يجعل تصحيح الأخطاء سيفاً يحطم به الولد ، وألاَّ يبالغ فى القسوة والعقاب ويتمادى فيه ، فإن ردود الفعل قد تكون عنيفة ، وعواقب العنف قد تكون أعنف ، وإن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف .

سادساً : احترام الشخصية :

ومن وسائل التربية : احترام شخصية الطفل ، وألا نَعُدَّ مقياس حُسن التربية أن يقول الطفل لنا : نعم ، سمعاً وطاعة ، ولكن من التربية أن يكون للطفل شخصية مستقلة واثقة ، وأن تكون لديه ثقة بنفسه ، ومعرفة بإمكاناته ، وقدرة على الكلام ، وقدرة على المشاركة .

فمثلاً : حينما تذهب بالطفل من أجل أن تشترى له لعبة ، يُفضَّل ألا تختار أنت له لعبة وتسلمها له ؛ بل تجعل له نوعاً من المشاركة ، فتقول له : هذه اللعبة ثمنها كذا وصفتها كذا ، وفائدتها كذا ، وهذه ، وهذه ، وهذه ، ثم تجعل له لوناً من الاختيار ، وتساعده أنت عليه ، حتى تكون له شخصية وتستشيره حتى فى بعض أمورك الدنيوية ، حتى يتعود أن يشاركك فى مشاغلك منذ الصغر ، ولو لم تقبل رأيه ، لكنه يشعر بأن له رأياً واختياراً وله قيمة .

سابعاً : العدل بين الأولاد :

وأخيراً :

فإن من أعظم وسائل التربية العدل بين الأولاد ، وقد بيَّن ذلك النبى ﷺ كما فى حديث النعمان بن بشير : أن أمه سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ، أى : مطلها ، ثم بدى له ، فقالت : لا أرضى حتى تُشهِد رسول الله ﷺ على ما وهبت لابنى ، قال : فأخذ أبى بيدى وأنا يومئذ غلام فقال : يا رسول الله ! إن أم هذا أعجبها أن أُشهدك على الذى وهبت لابنها ، **فقال الرسول ﷺ : يا بشير ! ألك ولد سوى هذا ؟** قال : نعم ، **فقال أكلهم وهبت لهم مثل هذا ؟** فقال : لا ، **قال : فليس يصلح هذا ، أَشْهِدْ على هذا غيرى فإنى لا أشهدُ على جورٍ** ، ثم قال : **أيسرك أن يكونوا إليك فى البرِّ سواء؟** قال : بلى، قال: **فلا - إذن ؛ اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم**- قال النعمان : فرجع أبى فرد تلك الصدقة [(١)] .

---

(١) أخرجه البخارى رقم (٢٥٨٧) ومسلم رقم (١٦٢٣) وهذه ألفاظ روايات مسلم .

فإياك إياك أن تشعر أحد أولادك بأنك لا تحبه ، أو أنك تفضل غيره عليه ، أو تشعر البنت بأن الولد مفضل عليها ؛ فإن هذا من أعظم أسباب العقوق ، وكما تريد أن يكونوا لك فى البر سواء ، فيجب أن تكون لهم أنت فى التربية ، والقيام على شؤونهم ، عادلاً بعيداً عن الظلم : « **اتقوا الظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة** »[1] .

ومتى حصل التمييز فى المعاملة بين الأولاد ببتت فى قلوبهم الأحقاد ، فتباغضوا وتدابروا وحلّت بينهم القطيعة ، والسبب : ذاك الأب الذى لم يحسن توزيع عطفه وبرّه على ولده .

---

(١) أخرجه مسلم (٤٦٧٥) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ ، وأخرجه البخارى بنحوه (٢٢٦٧) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ .

الفهرس

من مطبوعات دار الإيمان

لفضيلة الشيخ/ سلمان العودة

- رسالة إلى الأب .
- دعاة في البيوت .
- الصحوة في نظر الغربيين .
- رسالة إلى الشباب المسلم .
- نهاية التاريخ .
- ولكن كونوا ربانيين .
- مزالق في طريق الطلب .
- نسيم الحجاز في سيرة الإمام عبد العزيز بن باز .
- المزاح .
- إمام أهل السنة .